الشفاعة: مفهومها وأدلتها وأقسامها وأنواعها في ضوء الكتاب والسنة

Şefaat: Kur'an ve Sünnet Işığında Kavramı, Delilleri, Kısımları ve Çeşitleri

Intercession (al-Shafāʿa): Its Concept, Proofs, Divisions and Types in the Light of the Qur'an and the Sunnah

جودة تمركان جمن

Cevdet Tümerkan Çimen

الملخص

يتناول هذا البحث مسألة الشفاعة في العقيدة الإسلامية؛ فيعرّفها لغةً واصطلاحًا، ويعرض أدلتها من القرآن الكريم والسنة النبوية، ويبيّن وجه جوازها عقلًا، ثم يقف على موقف منكريها من الخوارج والمعتزلة. ويقسّم البحث الشفاعة باعتبار زمانها إلى شفاعة في الدنيا وشفاعة في الآخرة، ويذكر مواضع الشفاعة الأخروية من الاحتضار إلى ما بعد دخول الجنة والنار، ثم يفصّل أنواعها باعتبار الشافع: شفاعة النبي ﷺ وسائر الأنبياء، والملائكة، والشهداء، والمؤمنين، والزمان، والقرآن، والصيام. وقد اعتمد البحث المنهج الاستقرائي في جمع المادة من كتب اللغة والتفسير والحديث والعقيدة، والمنهج التحليلي في عرضها. وانتهى إلى أن الشفاعة ثابتة بالنصوص القطعية، وأن إنكارها راجع في الغالب إلى سوء فهم مفهومها، وأن تعدد أسبابها مظهر من مظاهر سعة الرحمة الإلهية.

الكلمات المفتاحية: العقيدة، الشفاعة، الحديث النبوي، المقام المحمود، أهل السنة، المعتزلة، الخوارج.

Öz

Bu çalışma, İslâm akaidinde şefaat meselesini ele almaktadır. Şefaatin sözlük ve terim anlamları verilmiş, Kur'an ve Sünnet'teki delilleri ortaya konmuş, aklen caiz oluşunun gerekçeleri açıklanmış ve Hâricîler ile Mu'tezile gibi şefaati inkâr eden ya da sınırlayan grupların görüşleri incelenmiştir. Şefaat, zamanı bakımından dünyada ve âhirette gerçekleşen şefaat olarak ikiye ayrılmış; âhiret şefaatinin ölüm anından cennete ve cehenneme girişin sonrasına kadar uzanan yerleri sıralanmıştır. Ardından şefaat edenler bakımından çeşitleri ele alınmıştır: Hz. Peygamber'in ve diğer peygamberlerin, meleklerin, şehitlerin, müminlerin, zamanın, Kur'an'ın ve orucun şefaati. Malzemenin toplanmasında tümevarım, sunulmasında ise tahlil yöntemi kullanılmıştır. Çalışma, şefaatin kesin nasslarla sabit olduğu, inkârının çoğunlukla kavramın yanlış anlaşılmasından kaynaklandığı ve şefaat sebeplerinin çokluğunun ilâhî rahmetin genişliğinin bir göstergesi olduğu sonucuna ulaşmıştır.

Anahtar Kelimeler: Akaid, şefaat, hadis, makâm-ı mahmûd, Ehl-i sünnet, Mu'tezile, Hâricîler.

Abstract

This study examines intercession (shafāʿa) in Islamic theology. It defines the term lexically and technically, presents its proofs from the Qur'an and the Sunnah, explains why it is rationally possible, and discusses the positions of those who denied or restricted it, namely the Khawārij and the Muʿtazila. Intercession is divided by its time into intercession in this world and in the hereafter, and the occasions of otherworldly intercession are listed, from the moment of death to after entry into Paradise or Hell. The study then sets out its types according to the intercessor: the Prophet Muḥammad and the other prophets, the angels, the martyrs, the believers, time, the Qur'an and fasting. The material was collected inductively from works of lexicography, exegesis, hadith and theology and then analysed. The study concludes that intercession is established by definitive texts, that its denial mostly stems from a misunderstanding of the concept, and that the multiplicity of its causes reflects the breadth of divine mercy.

Keywords: Islamic theology, intercession, hadith, the praised station, Ahl al-Sunna, Muʿtazila, Khawārij.

المقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بالطاعة، وجعلنا من أهل السنة والجماعة، ووعدنا -وهو الكريم الذي لا يخلف الميعاد- بالرحمة والعفو والمغفرة وقبول الشفاعة، وصلى الله على محمد المبعوث رحمةً للعالمين بين يدي الساعة، وعلى آله وأصحابه ومن أحسن اتباعه. أما بعد:

فإن هذا البحث يتناول مفهوم الشفاعة وما يتعلق بها من أدلتها وأقسامها ومواضعها وأنواعها، وموقف منكريها منها.

منهج البحث

سار البحث وفق الخطوات الآتية:

- استقراء الكتب التي تتحدث عن الشفاعة.
- مطالعة كتب اللغة والمصطلحات والكتب المؤلفة في الشفاعة، والتدقيق في مسائلها.
- تقسيم البحث إلى فصلين، تحت كل منهما مباحث ومطالب.
- جمع الفوائد المهمة من الكتب المطالعة، والمزج بينها حتى صارت سياقًا واحدًا متصلًا.
- عزو كل نقل إلى مصدره في الحاشية، وفق نظام الإسناد للتوثيق.

- ذكر المصادر والمراجع التي استفاد منها البحث مع مؤلفيها في آخره.

مشكلة البحث

يتبيّن من مطالعة الكتب أن الذين أنكروا الشفاعة -صراحةً أو تأويلًا- إنما وقعوا في ذلك لخطئهم في فهم مفهومها؛ إذ إن من فهم مفهوم الشفاعة على وجهه الصحيح لا ينكرها لا صراحةً ولا تأويلًا. ومن ثَمّ يسعى هذا البحث إلى بسط الكلام في مفهوم الشفاعة بعبارة سهلة ومقصود ظاهر، سائلًا الله تعالى أن ينفع به.

خطة البحث

جاء البحث في مقدمة وفصلين وخاتمة: الفصل الأول في مفهوم الشفاعة، وفيه خمسة مباحث: تعريفها، وأدلتها نقلًا وعقلًا، ومنكروها، وأقسامها، ومواضعها. والفصل الثاني في أنواع الشفاعة باعتبار الشافع، وفيه ثمانية مباحث. ثم الخاتمة، وفيها أهم النتائج، ثم ثبت المصادر والمراجع.

الفصل الأول: مفهوم الشفاعة

المبحث الأول: تعريف الشفاعة

أولًا: الشفاعة لغةً

الشفاعة: مصدر شَفَعَ يَشْفَعُ شفاعةً، والشَّفْع: ما كان من العدد أزواجًا.[1] والشَّفْع: خلاف الوتر، قال تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣]. والشفاعة: المطالبة بوسيلة أو ذمام.

وعرّفها الفخر الرازي بقوله: «أن يستوهب أحدٌ لأحد شيئًا، ويطلب له حاجة... كأنّ صاحب الحاجة كان فردًا، فصار الشفيع له شفعًا، أي صار زوجًا».[2]

ومن معاني الشفاعة في اللغة:

---

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ٨/١٨٤.

[2] فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ)، ٣/٤٩٥، بتصرف يسير.

- الدعاء،[3] ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
- الإعانة، يقال: فلان يشفع لي بالعداوة، أي: يعين عليّ ويضادّني.[4]

ثانيًا: الشفاعة اصطلاحًا

عُرّفت الشفاعة اصطلاحًا بتعريفات، منها:

- «السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه».[5]
- «الانضمام إلى آخرَ ناصرًا له وسائلًا عنه، وأكثر ما يُستعمل في انضمام من هو أعلى حرمةً ومرتبةً إلى من هو أدنى».[6]
- «مسألة الغير أن ينفع غيره أو يدفع عنه مضرة».[7]
- «إعانةٌ على خير يحبه الله ورسوله، من نفع من يستحق النفع، ودفع الضر عمن يستحق دفع الضرر عنه».[8]

المبحث الثاني: أدلة الشفاعة نقلًا وعقلًا

أولًا: الأدلة النقلية

من القرآن الكريم

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

---

[3] ابن منظور، لسان العرب، ٨/١٨٤.

[4] أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي (دمشق-بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ط١، ١٤١٢هـ)، ٤٥٨، بتصرف.

[5] علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣/١٩٨٣)، ١٢٧.

[6] الراغب الأصفهاني، المفردات، ٤٥٨.

[7] القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان (القاهرة: مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦/١٩٩٦)، ٦٨٨.

[8] تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦/١٩٩٥)، ٧/٦٥.

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

من السنة النبوية

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة، وأردتُ إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة».[9]
- عن عمران بن حصين رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة، يُسمَّون الجهنميين».[10]
- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يحرسه أصحابه، قال: فقمت ذات ليلة فلم أره في منامه، فأخذني ما قدم وما حدث، فذهبت أنظر، فإذا أنا بمعاذ قد لقي الذي لقيت، فسمعنا صوتًا مثل هزيز الرحا، فوقفا على مكانهما، فجاء النبي ﷺ من قبل الصوت فقال: «هل تدرون أين كنت؟ وفيم كنت؟ أتاني آتٍ من ربي عز وجل، فخيّرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة». فقالا: يا رسول الله، ادع الله عز وجل أن يجعلنا في شفاعتك. فقال: «أنتم ومن مات لا يشرك بالله شيئًا في شفاعتي».[11]

ثانيًا: الأدلة العقلية

مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلًا ووجوبها سمعًا. والعقل السليم لا يرفض فكرة الشفاعة يوم القيامة؛ فالإنسان مهما بلغت ذنوبه من صغائر وكبائر، إذا أتى ربه بقلب سليم غير شاكّ، فإنه قد يشمله العفو الإلهي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

---

[9] أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.)، ١/١٨٩ (١٩٨)، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته.

[10] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر (بيروت: دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ)، ٨/١١٦ (٦٥٦٦)، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

[11] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١/٢٠٠١)، ٣٢/٣٩٤ (١٩٦١٨).

[النساء: ٤٨]. وإذا كان العفو الإلهي عن الذنوب مقررًا بالنصوص القطعية، كقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥]، فلماذا يُعترض على وقوع الشفاعة؟ وهل هي إلا مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية؟!

فمذهب أهل الحق أن الشفاعة حق، وقد أنكرها منكرو الغفران، و«من جوّز العفو والصفح بدءًا من الله تعالى فلا يمنع الشفاعة، ومنهم من يمنعها على مصيره إلى تجويز الغفران، وذلك نهاية في الجهل لا يلتزمها ذو تحصيل».[12]

والشفاعة لا تعني إهمال العمل والتواكل على الشفاعة يوم القيامة قطعًا، قال تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وفي المقابل فإن العمل بذاته لا يُدخل الجنة، قال ﷺ: «سدّدوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لن يُدخل أحدًا الجنةَ عملُه». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمّدني الله برحمته».[13]

فكيف التوفيق بين النصوص؟ إن للعمل مفهومين: مفهوم الأداء ومفهوم الجزاء، فأداؤك العمل لا يُدخلك الجنة بذاته، فمهما تعمل من صالحات وطاعات فإن عملك بذاته لا يبلّغك الجنة، وإنما يكون دليلًا على خضوعك وانقيادك لأمر الله تعالى، وإنما يُدخلك الله تعالى الجنة جزاءً على عملك برحمته. وقد قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]: «أي أعمالكم الصالحة كانت سببًا لشمول رحمة الله إياكم، فإنه لا يُدخل أحدًا عملُه الجنة، ولكن برحمة الله وفضله، وإنما الدرجات ينال تفاوتها بحسب الأعمال الصالحات».[14]

ويضاف إلى ما سبق أن الشارع قد حثّ على الشفاعة في الدنيا، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء».[15] فإن جازت في الدنيا في مسائل فانية ومصالح زائلة، فكيف بها في الآخرة دار الخلود؟! ولما كان النبي

---

[12] عبد القادر مصطفى عبد الرزاق المحمدي، الشفاعة في الحديث النبوي: دراسة وتخريج (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، د.ت.)، ٣٠.

[13] أحمد بن حنبل، المسند، ٤١/٤١٦ (٢٤٩٤١).

[14] أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، وضع حواشيه: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩/١٩٩٨)، ٧/٢٢٠.

[15] أحمد بن حنبل، المسند، ٣٢/٤٤٣ (١٩٦٦٧).

ﷺ يشفع لأمته بدعائه واستسقائه واستغفاره، فكذلك في عرصات يوم القيامة يشرح الله صدره ويفتح عليه في الدعاء، فيشفع ويُشفَّع، كما جاء في الأحاديث الصحيحة.[16]

المبحث الثالث: منكرو الشفاعة

أولًا: الخوارج

الخوارج طائفة مبتدعة معروفة، أنكرت شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من المؤمنين. قال الحافظ ابن حجر: «إن الخوارج الطائفة المشهورة المبتدعة كانوا ينكرون الشفاعة، وكان الصحابة ينكرون إنكارهم، ويحدّثون بما سمعوا من النبي ﷺ في ذلك».[17]

وقال السالمي -وهو من الإباضية-: «أثبتت الأشاعرة الشفاعة لأهل الكبائر تعويلًا على حديث رووه: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي". ويُجاب من وجوه: أحدها أنه خبر واحد يعارض القطعي، ثانيها أنه عارضته رواية مثلها ونصها: "لا تنال شفاعتي أهلَ الكبائر من أمتي"، فهذه بتلك».[18]

ثانيًا: المعتزلة

أثبتت المعتزلة أصل الشفاعة، فأقرّوا بعض أنواعها وأنكروا بعضها الآخر. قال ابن بطال: «سلّم بعض المعتزلة وقوع الشفاعة، ولكن خصّها بصاحب الكبيرة الذي تاب منها، وبصاحب الصغيرة الذي مات مصرًّا عليها».[19] ويستقبح المعتزلة الشفاعة لأهل الكبائر، إذ يرون أن «شفاعة الفساق الذين ماتوا على الفسوق ولم يتوبوا تتنزّل منزلة الشفاعة لمن قتل ولد الغير وترصّد للآخر حتى يقتله، فكما أن ذلك يقبح فكذلك هاهنا».[20] ووجه استدلالهم في إنكارها مبني على أن العقوبة تُستحق على طريق الدوام، فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبي ﷺ؟ واستدلوا على ذلك بقوله تعالى:

---

[16] المحمدي، الشفاعة في الحديث النبوي، ٣٣، بتصرف وزيادة.

[17] أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ١١/٤٢٦.

[18] نقلًا عن: المحمدي، الشفاعة في الحديث النبوي، ٣٣.

[19] نقلًا عن: ابن حجر، فتح الباري، ١١/٤٢٨.

[20] القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ٦٨٨.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].

المبحث الرابع: أقسام الشفاعة باعتبار زمانها

تنقسم الشفاعة باعتبار زمانها إلى قسمين:

القسم الأول: شفاعة الدنيا

وهي مجموع ما صحّ من الأحاديث النبوية في شفاعة النبي ﷺ لأمته في الدنيا، كدعائه لهم، وطلبه المغفرة والنصر لهم، والتوسل به حال حياته كدعاء الأعمى، وغير ذلك من الآثار. وكذا ما رُوي من شفاعات بعض المسلمين لبعض، كقوله ﷺ: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء».[21] وهذه الشفاعة لم ينكرها أحد من أهل القبلة.[22]

القسم الثاني: شفاعة الآخرة

وهي غير محددة الزمان؛ فهي تمتد من وفاة المسلم إلى ما بعد دخوله الجنة أو النار -أعاذنا الله منها-. وبعبارة أخرى: تمتد من وفاة الإنسان والصلاة عليه إلى شفاعة الشافعين في رفع الدرجات في الجنة، أو في إخراج أهل النار من النار.

المبحث الخامس: مواضع الشفاعة الأخروية

للشفاعة الأخروية مواضع كثيرة، منها:

- الشفاعة عند الاحتضار، وهو انتقال الروح من الحياة الدنيا إلى حياة البرزخ، وهذه أول الشفاعات الأخروية.
- الشفاعة لمن مات ولم يُدفن بعد، وهي عند الصلاة عليه.
- الشفاعة عند القبر.
- الشفاعة قبل الحساب، والشفاعة بعده.

---

[21] أحمد بن حنبل، المسند، ٣٢/٤٤٣ (١٩٦٦٧).

[22] انظر: ابن تيمية، الحسنة والسيئة (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.)، ٩٨.

- الشفاعة لمن تساوت حسناته وسيئاته.
- الشفاعة عند الصراط.
- الشفاعة عند الجنة، والشفاعة في رفع الدرجات فيها.
- الشفاعة عند النار -نعوذ بالله منها-: قبل دخولها، وبعد دخولها في إخراج أهلها منها، وفي التخفيف عنهم.

وقد اكتفينا هنا بذكر هذه المواضع دون أدلتها خشية الإطالة، ومن أراد الوقوف على أدلتها فليراجع كتاب «الشفاعة في الحديث النبوي».[23]

الفصل الثاني: أنواع الشفاعة باعتبار الشافع

المبحث الأول: شفاعة الأنبياء

المطلب الأول: شفاعة النبي ﷺ

وعد الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ المقامَ المحمود بقوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وثبت ذلك في صحيح السنة، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلّت له شفاعتي يوم القيامة».[24] وذهب الرازي إلى أن المقام المحمود هو الشفاعة في إسقاط العقاب، على ما هو مذهب أهل السنة.[25]

ويختص النبي ﷺ بشفاعتين لم يُعطهما الله أحدًا غيره:

- الشفاعة العظمى: وهي لجميع الخلائق، بإراحتهم من هول الموقف وتعجيل الحساب.

---

[23] المحمدي، الشفاعة في الحديث النبوي، ٥٢-٥٥.

[24] البخاري، الجامع الصحيح، ١/١٢٦ (٦١٤).

[25] الرازي، مفاتيح الغيب، ٢١/٣٨٨.

- الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب.[26] ومنه قوله ﷺ: «وعدني ربي أن يُدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب».[27]

المطلب الثاني: شفاعة سائر الأنبياء

إن الأنبياء عليهم السلام يشفعون كما يشفع النبي محمد ﷺ، وإن كانوا لا يملكون بعض أنواع الشفاعة مما خُصّ به نبينا ﷺ. أما أصل الشفاعة فهم يشفعون كما ثبت بصريح الأحاديث الصحيحة؛ فقد أخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «...شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين...».[28]

ومن شفاعاتهم عليهم الصلاة والسلام:

- شفاعتهم في زيادة الدرجات في الجنة لبعض أهلها.
- شفاعتهم في قوم استوجبوا النار بذنوبهم ألا يدخلوها.
- شفاعتهم في إخراج بعض المذنبين من النار.[29]

المبحث الثاني: شفاعة الملائكة

للملائكة يوم القيامة شفاعة كبقية الشفعاء، وهي ثابتة بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]، وغيرها من الآيات.

---

[26] عبد الكريم محمد المدرس، تنوير الطالبين بنور الدين المبين (د.م: مكتبة الهاشمية، ط١، د.ت.)، ١٠٥.

[27] أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، السنن، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨)، ٤/٢٠٨ (٢٤٣٧).

[28] مسلم، صحيح مسلم، ١/١٦٧ (١٨٣)، باب معرفة طريق الرؤية.

[29] المدرس، تنوير الطالبين، ١٠٥.

قال الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]: «والاستغفار طلب المغفرة، والمغفرة لا تُذكر إلا في إسقاط العقاب، أما طلب النفع الزائد فإنه لا يسمى استغفارًا... وهذا يدل على أنهم يستغفرون لكل أهل الإيمان، فإذا دللنا على أن صاحب الكبيرة مؤمن وجب دخوله تحت هذه الشفاعة».[30]

وعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُحمل الناس على الصراط يوم القيامة، فتقادع بهم جنبة الصراط تقادع الفراش في النار، قال: فينجّي الله تبارك وتعالى برحمته من يشاء، قال: ثم يُؤذن للملائكة والنبيين والشهداء أن يشفعوا، فيشفعون ويخرجون، ويشفعون ويخرجون، ويشفعون ويخرجون».[31]

المبحث الثالث: شفاعة الشهداء

جاء التصريح بشفاعة الشهداء، فعن المقدام بن معديكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال: يُغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويُزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُشفَّع في سبعين من أقاربه».[32]

ويدخل الشهداء كذلك في عموم حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «...شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون...».[33]

المبحث الرابع: شفاعة المؤمنين

قال الرازي: «إن جمهور الصحابة والتابعين وسلف المؤمنين كلهم يكونون شفعاء في ذنوب المذنبين».[34]

---

[30] الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٧/٤٨٩.

[31] أحمد بن حنبل، المسند، ٣٤/٩٠ (٢٠٤٤٠).

[32] الترمذي، السنن، ٤/١٨٧ (١٦٦٣).

[33] مسلم، صحيح مسلم، ١/١٦٧ (١٨٣).

[34] نقلًا عن: المحمدي، الشفاعة في الحديث النبوي، ١٠٨.

وعن عبد الله بن شقيق قال: كنت مع رهط بإيلياء، فقال رجل منهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثرُ من بني تميم». قيل: يا رسول الله، سواك؟ قال: «سواي».[35]

المبحث الخامس: شفاعة الزمان

جاءت بعض الأحاديث بإثبات شفاعة الزمان للمؤمنين؛ فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر».[36]

فمن مات من المسلمين في هذا اليوم المبارك فإنه لا يُعذَّب في قبره، والقبر أول منازل الآخرة، وليس ببعيد عن الرحمة الإلهية أن يُتمّ الله نعمته على هذا العبد ويعفو عنه بعد ذلك. وهذا الحديث لا يعارض أحاديث السؤال في القبر؛ لأن تلك الأحاديث عامة، وهذا مخصِّص لها. وهذا الأمر لا مدخل فيه للقياس ولا مجال فيه للنظر، وإنما ينبغي التسليم والانقياد لقول الصادق المصدوق ﷺ.[37]

المبحث السادس: الشفاعة الإلهية

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج من النار أربعة فيُعرضون على الله، فيلتفت أحدهم فيقول: أي ربّ، إذ أخرجتني منها فلا تُعدني فيها، فينجيه الله منها».[38]

المبحث السابع: شفاعة القرآن

جاءت الأحاديث بالتصريح بشفاعة القرآن الكريم يوم القيامة، وهذه خصوصية للقرآن الكريم دون سائر الكتب السماوية؛ لأنه حُفظ من التحريف والتبديل، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. فبعناية الله به وحفظه له أُعطي القرآن هذه المنزلة المتقدمة على سائر الكتب، ولأن فيه نبأ السابقين وخبر اللاحقين، وهو ناسخ لما قبله من الكتب: التوراة والإنجيل والزبور.

---

[35] الترمذي، السنن، ٤/٦٢٦ (٢٤٣٨).

[36] الترمذي، السنن، ٢/٣٧٧ (١٠٧٤).

[37] المحمدي، الشفاعة في الحديث النبوي، ١٠٠.

[38] مسلم، صحيح مسلم، ١/١٨٠ (١٩٢).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن واستظهره، فأحلّ حلاله وحرّم حرامه، أدخله الله به الجنة، وشفّعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار».[39]

المبحث الثامن: شفاعة الصيام

الصيام لغةً: الإمساك، واصطلاحًا: «إمساك مخصوص، وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من الصبح إلى المغرب مع النية».[40]

وكفى بالصوم خصوصيةً وشرفًا أن أضافه الله تعالى إليه دون سائر الأعمال من صلاة وزكاة وحج وغيرها؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنّة».[41]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربّ، منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفّعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفّعني فيه»، قال: «فيُشفَّعان».[42]

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكن إجمال أهم النتائج فيما يأتي:

- الشفاعة ثابتة بنصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة، وهي جائزة عقلًا، ومذهب أهل السنة جوازها عقلًا ووجوبها سمعًا.
- إنكار الشفاعة -صراحةً أو تأويلًا- راجع في الغالب إلى الخطأ في فهم مفهومها؛ فالخوارج أنكروا الشفاعة لأهل الكبائر، والمعتزلة أثبتوا أصلها وقصروها على بعض أنواعها.
- الشفاعة لا تعني ترك العمل والتواكل، كما أن العمل بذاته لا يُدخل الجنة، وإنما يدخلها العبد برحمة الله، وتتفاوت الدرجات بحسب الأعمال.

---

[39] الترمذي، السنن، ٥/٢١ (٢٩٠٥)، أبواب فضائل القرآن.

[40] الجرجاني، التعريفات، ١٣٦، بتصرف.

[41] البخاري، الجامع الصحيح، ٣/٢٦ (١٩٠٤)، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شُتم.

[42] أحمد بن حنبل، المسند، ١١/١٩٩ (٦٦٢٦).

- تنقسم الشفاعة باعتبار زمانها إلى شفاعة في الدنيا وشفاعة في الآخرة، وللشفاعة الأخروية مواضع كثيرة تمتد من الاحتضار إلى ما بعد دخول الجنة والنار.
- تتعدد الشفاعة باعتبار الشافع: فللنبي ﷺ الشفاعة العظمى والشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب، ويشفع سائر الأنبياء والملائكة والشهداء والمؤمنون، وتشفع بعض الأزمنة والقرآن والصيام.
- كثرة أسباب الشفاعة مظهر من مظاهر سعة الرحمة الإلهية؛ حتى كأن كل عمل صالح صار سببًا لشفاعة عامله.

والحمد لله الذي جعل لنا أسباب الشفاعة كثيرة، وجعل لنا حبيبه محمدًا ﷺ شفيعًا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. الحسنة والسيئة. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. مجموع الفتاوى. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦/١٩٩٥.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد. المسند. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١/٢٠٠١.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. وضع حواشيه: محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩/١٩٩٨.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. السنن. تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨.

الجرجاني، علي بن محمد الشريف. كتاب التعريفات. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣/١٩٨٣.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دمشق-بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ط١، ١٤١٢هـ.

الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر. مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

عبد الجبار، القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمذاني. شرح الأصول الخمسة. تحقيق: عبد الكريم عثمان. القاهرة: مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦/١٩٩٦.

المحمدي، عبد القادر مصطفى عبد الرزاق. الشفاعة في الحديث النبوي: دراسة وتخريج. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، د.ت.

المدرس، عبد الكريم محمد. تنوير الطالبين بنور الدين المبين. د.م: مكتبة الهاشمية، ط١، د.ت.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري. صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.